سافرت من بيروت بالسيارة في يوم شديد البرودة من شهر كانـون الاول · توقفنا قبل المغيب في نقطة التفتيش البريطانية في رأس الناقورة · وبعـــد التفتيش انحدرت بنا السيارة نحو قرية الزيب ، وكانت الشمس على وشـك الغياب · وتبينت في ضوء الغسق سور عكا ومئذنة جامع الجزار ترتفـــع فوق المدينة في السماء الرمادية ، ومن ورائها حيفا ، وجبل الكرمل يمتـــد الى عرض البحر · فتحت نافذة السيارة قليلا واحسست بالريح الباردة تلفح وجهي ، وجعلت اراقب امواج البحر القلقة التي ذكرتني بايام الصيـف والصيد والسباحة والمرح · رأيت مركبا شراعيا تملأ الريح شراعيه ويشق العبـاب تاركا وراءه رذاذا ابيض طويلا ، في طريقه من صيدا او طرابلس الى عكـا ·

كانت الطريق خالية ، الا من باص او باصين من باصات شركة « ايجـد » اليهودية يسرعان في طريقهما الى نهاريا ، المستعمرة اليهودية الوحيدة فـي الجليل الغربي · قبل هبوط الظلام ، وعندما بدأت الاضواء تتلألأ فـي البيـوت دخلنا شارع عكا الرئيسي · في قهوة حبيبو لم يكن هناك الا بضعة اشخـاص يلعبون الطاولة ، وفي مدخل سينما الاهلي لم ار احدا ، ربما لان موعد الفيلم لم يحن بعد او لان الطقس كان باردا ·

في البيت كان جدي قد آوى الى فراشه ، فجلست مـع جدتي وخالاتـي ووالدتي ، وكانوا جزعين حزينين لفراقي · وتناولت عشاء خفيفا من اللبنـة والجبنة والزيتون ـ كعادتي منذ الصغر في عكا · وبعـد العشاء ـ وكانت الساعة قد قاربت السابعة ـ ارتديت معطفي وخرجت للقاء كامل واكرم فـي بيتهما بالقرب من المقهى ·

كانا بانتظاري خلف الباب ، ليفاجئاني باستعداداتهما العسكرية ، فقد ارتدى كل منهما خوذة عسكرية ، مثل التي كان يستعملها الجنود البريطانيون ،وامسك بندقية صيد قديمـة ·

وقال كامل بعد ان جلسنا :

ـ هل سمعت بالحادثة ·

ـ ايـة حادثـة ·

واخبرني عن مهاجمة اهل عكا لقافلة يهودية كانت في طريقها من حيفا الى نهاريـا ·

اقام عدد من الشباب المسلحين كمينا عند مفترق شارع بيروت ـ صفـد وانتظروا حتى وصلت ، وكانت مؤلفة من خمس مصفحات وبضع شاحنـات وانهالوا عليها بالرصاص · كان هدفهم تعطيل السيارة الاولى التي كانت تتقدم القافلة ثم مهاجمة باقي السيارات التي تكون قد اضطرت عندئذ الى الوقوف ·